الفيلسوف النمساوي هانس كوكلر:

اسرائيل تواصل البطش لانها تعرف ان الغرب لن يعاقبها!

اجرى الحوار: د. حميد لشهب

لم يعد من الضروري تقديم الفيلسوف النمساوي هانس كوكلر للجمهور العربي، الذي اعتاد على مواقفه النبيلة والشجاعة تجاه القضايا العربية وعلى رأسها أم القضايا: المشكل الفلسطيني. يعد كوكلر في الوقت الراهن الفيلسوف الغربي الوحيد الذي استطاع أن يحافظ على نقاوة مبادئه الفلسفية والإنسانية في الدفاع عن القضايا العادلة للدول الثالثية بصفة عامة والدول العربية الإسلامية بالخصوص. فلم يرضخ لا للإغراءات الكثيرة التي قدمت له ليكف عن نضاله المستقيم ولا للضغوطات المختلفة، المباشرة وغير المباشرة منها، لينكمش في أعالي عوالم التأملات الفلسفية، بل اختار أصعب وأكثرها أشواكاً وأعقد طريق إيمانا منه بعدالة القضايا التي يدافع عنها وبأسبقية المبدأ الإنساني عن المبدأ النفعي البراغماتي، سواء في العلاقات الإنسانية أو في القرارات السياسية.

حصل البروفيسور هانس كوكلر، رئيس قسم الفلسفة بجامعة إنزبروك النمساوية ورئيس المنظمة العالمية للتقدم بفيينا، على جوائز علمية كثيرة من جامعات ومؤسسات علمية ومنظمات دولية وجمعيات مختلفة، كانت آخرها « الميدالية الكبرى لدافيد الأنفسيبل»، التي تسلمها يوم 11 حزيران (يونيو) 2009 من طرف البروفيسور جورج بريطاين، عضو أكاديمية العلوم الأرمينية والرئيس الحالي للجمعية العالمية للفلسفة، تقديرا لمجهوداته الفكرية والتزاماته المبدئية.

يدخل هذا الحوار مع كوكلر بمناسبة نشر ترجمة عربية لمجموعة من نصوصه تحت عنوان: «المسلمون والغرب. من الصراع إلى الحوار» بدار النشر المغربية «طوب».

■ هاجم الجيش الإسرائيلي في بداية هذه السنة ما يسميه بمواقع مقاومة حماس في غزة قاتلا بذلك أبرياء عزّلاً من أطفال ونساء وشيوخ فلسطينيين لا ذنب لهم غير كونهم ولدوا فلسطينيين. ألم تعد هناك حدود أخلاقية عندما يتعلق الأمر بـ «تصفية العدو»، كما يوهم المرء دائما في إسرائيل؟

■ يعتبر الهجوم الإسرائيلي على العزل غير المسلحين في غزة بمثابة دوس بالأقدام واضح وعلني على القانون الإنساني الدولي وبالخصوص على الفصل الرابع لمعاهدة جنيف التي تحث على الحرص على عدم المس بحقوق العزل في النزاعات المسلحة. تعتبر الحدود الأخلاقية لهذا الأمر، وأكثر من هذا القوانين الدولية في حد ذاتها جد واضحة ولا غبار عليها. للأسف فإن هذه الأخيرة ليس لها أي اعتبار في عيون جيش الاحتلال الإسرائيلي. فالكثير من الهجمات الإسرائيلية ـ ليس في غزة فقط، بل في كل الأراضي الفلسطينية ـ هي بمثابة عدوان ضد الإنسانية، تعاقب عليها معاهدة جنيف بغض النظر عن الجهة التي تقوم بها. ونجد مثل هذا في بنود محكمة العدل الدولية بهاغ بلاهاي.

■ لماذا لا تحترم إسرائيل القرارات الدولية ولماذا تسلك كما لو أنها الوحيدة التي لها الحق للعيش في فلسطين؟

■ بعكس الدول العربية والإسلامية تتوفر إسرائيل على لوبيات قوية في الدول الغربية وبالخصوص في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية. لهذه اللوبيات حضور قوي ليس فقط على الصعيد السياسي، بل وكذلك لها تأثير قوي على وسائل الإعلام الغربية. ونتيجة ذلك هو انتشار شعور بعدم إمكانية عقاب إسرائيل عند قيامها بأشياء ضد الإنسانية. تعرف إسرائيل إذن بأنها لن تعاقب، ولذاك لا تأخذ القوانين الدولية على محمل الجد.

■ لم يعد المرء يفهم الموقف الأوروبي فيما يتعلق بالمشكل بين إسرائيل والفلسطينيين لا في أوروبا نفسها ولا في الدول العربية والمسلمة. فأوروبا تساهم بقسط وافر في إعادة بناء فلسطين من الأموال العامة التي يدفعها المواطن الأوروبي العادي على شكل ضرائب، وإسرائيل تدمر بالتمام كل مرة كل شيء. إلى متى سيظل الأوروبيون يتفرجون وأيديهم في جيوبهم؟

■ تفرجت أوروبا بما فيه الكفاية وعليها أن تتحرك لإيقاف هذه المأساة الإنسانية في فلسطين. فكل البنية التحتية التي بنيت بمساعدة الاتحاد الأوروبي، بما في ذلك مطار غزة، هدم من طرف الجيش الإسرائيلي. لا يمكن والحالة هذه السكوت عن طريقة الهدم والبعد الأيديولوجي الذي تنهجه إسرائيل. فالأموال التي تضعها الشعوب الأوروبية رهن إشارة الشعب الفلسطيني لإعادة بناء بلاده تذهب مع غبار قصف طائرات ومدافع إسرائيل، ليس فقط في غزة، بل في كل الأراضي الفلسطينية. من العار على الاتحاد الأوروبي ومن مظاهر ضعفه السياسي أنه لن يستطيع إلى حد الآن إيقاف العدوان على فلسطين. على المرء تقديم إسرائيل للمحاكمة أمام محكمة العدل الدولية بلاهاي.

■ بالنظر إلى عدم توازن القوى في هذه الحرب التي دامت أكثر من اللازم، حيث تهاجم إسرائيل بأحدث الوسائل الحربية بينما يكتفي الفلسطينيون بالرشق بالحجارة وبعض الأسلحة البدائية، ما هو الحل اللائق في نظركم لهذا المشكل؟

■ ما هو جد مهم في اللحظة الراهنة هو أن تكف إسرائيل على الفور عن سياسة الاحتلال التي تنهجها والتي تعتبر في العمق السبب الرئيسي للتصعيد الحربي الحالي في المنطقة. على الدول الأعضاء في مجلس الأمم المتحدة ـ أقول كل الأعضاء وليس فقط أعضاء مجلس الأمن منهم ـ أن يذكروا إسرائيل بأن سياسة الاحتلال هي ضد كل محاولات السلم.

■ الكثير من الملاحظين يؤكدون أن إسرائيل هي اليد الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط، لذا يحظون بعنايتها ومساعدتها غير المشروطة لهم. ألا يعتبر هذا مؤشرا صارخا على بداية انهيار الثقافة الغربية، التي تتفرج على فتك القوي بالضعيف دون أن تحرك ساكنا؟

■ ليس هذا فقط، بل إن هذا تأكيد واضح على الكيل بمكيالين عند الغربيين. ففي الوقت الذي يطالب المرء فيه الدول العربية والمسلمة بالديمقراطية وبناء دولة الحق والقانون، يستقبل دون عذاب ضمير العدوان على حقوق الإنسان وقتل الأبرياء من طرف الإسرائيليين بسادية واضحة. وهذا ما نلاحظه بالضبط في الهجوم الأخير على غزة وسكانها. أكرر ما قلته: الغرب يتفرج على ما تقترفه إسرائيل من عدوان في حق الفلسطينيين، لأنها تمتلك لوبيات قوية في الغرب.

■ هل تعتقدون بأن لقيم العدل والديمقراطية، التي يحاول الغرب «تصديرها» إلى دول أخرى، أية مصداقية سياسية وأخلاقية بالنظر إلى ما يقع في الشرق الأوسط؟

هانس كوكلر اثناء لقائه ياسر عرفات في بيروت عام 1980

■ تظهر هذه التراجيدية الفلسطينية المؤسفة التي نتفرج عليها يوميا حجة قاطعة على كون الخطاب الغربي عن الديمقراطية وحقوق الإنسان ما هو إلا خطاب أجوف. فقد فقد هذا الخطاب كل مصداقيته وبالخصوص باكتفائه بالتفرج على الأحداث المأساوية في الشرق الأوسط.

■ بغضّ النظر عن إيران وسورية، تعتبر كل الحكومات العربية والإسلامية حكومات غير معادية للغرب. لماذا تحاول سياسات هذا الأخير بانتظام وباستمرار تقديم العالم الإسلامي كعدو لدود للغرب؟ أيعتبر هذا مقبولاً أخلاقيا؟

■ لا تكتفي النخبة السياسية المسيرة في الكثير من الدول المسلمة بالتحيز للغرب، عوض الدفاع عن مواطني فلسطين ضد الاحتلال الصهيوني الغاشم، بل إنها تهاجم بالنقد القيادة الفلسطينية في غزة التي تحاول الدفاع عن نفسها وأرضها. وبهذا فإن هؤلاء القادة المسلمين يساعدون مباشرة بسلوكهم هذا قوات الاحتلال وهذا يعارض بطبيعة الحال رغبة مواطني الدول العربية نفسها. والظاهر أن هؤلاء القادة يخشون ردات فعل شعوبهم، لذا يلجؤون الى الاحتماء وراء الغرب. على القادة العرب والمسلمين أخذ العبرة من رؤساء، مثل رئيس فينزويلا وبوليفيا، ينتقدون بشجاعة وجهرا السياسة الإسرائيلية في فلسطين، لذا فإن مصداقيتهم الأخلاقية في هذه القضية أكبر بكثير من مصداقية الحكام العرب والمسلمين. من العار على منظمة الوحدة العربية تفويض ملف القضية الفلسطينية لمجلس الأمن الدولي، الذي لا يقوم بأي شيء يذكر لحل هذا المشكل، وبنود هذه المنظمة واضحة وتحث على الدفاع عن فلسطين ضد كل عدوان جائر.

■ يوجد أنصار السلام والحلول الإنسانية عند الجانبين فيما يخص المشكل الفلسطيني. كيف تمكن تقوية هذا الجناح من أجل الوصول إلى حل سلمي دائم في المنطقة، يكون قوامه الرئيسي هو الدفاع عن الكرامة الإنسانية بعيدا عن الحسابات السياسية والتكتيكات الأيديولوجية؟

■ ما يحتاجه المدافعون عن السلام بالسلم والعاملون من أجل التعايش بين الشعوب من المنظمات والجمعيات هو قبل كل شيء فتح وسائل الإعلام لهم في الدول التي يقيمون بها. لحد الساعة فإن أنشطة هذه المنظمات معروفة في إطار جد ضيق من طرف الرأي العام محليا ووطنيا وفطريا وعالميا. هناك وسائل أخرى للتواصل كالانترنيت مثلا، لكنها غير كافية نظرا لعدم توازن القوى الإعلامية المحتكرة من طرف السياسات الرسمية، وبالخصوص في الغرب. وما مقصلة المنع الإسرائيلي لوسائل الإعلام الغربية الدخول إلى غزة عند هجومها الأخير عليها إلا عربونا ساطعا على ما قلناه.

■ هناك الكثير من مبادرات الحوار وبناء الجسور بين الثقافات. ماذا في وسع هذه المبادرات عمله من أجل المساهمة في بناء سلم دائم في الشرق الأوسط؟

■ ما هو جد مهم في نظري هو إتاحة الفرصة للناس، وبالخصوص في الدول الغربية، للاطلاع الموضوعي والكافي على تاريخ وأسباب الصراع في فلسطين وما جاورها. فطالما أن المعلومات عن هذه القضية أحادية الجانب ومحتكرة من جانب طرف نزاع واحد، يعني طالما أن الأغلبية الساحقة من مواطني أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية لا تعلم بطريقة موضوعية عن تاريخ إجلاء الفلسطينيين عن أرض أجدادهم، فإنه من غير الممكن وصول هؤلاء الناس إلى تكوين فكرة عن الحقوق العادلة للفلسطينيين. فالحوار دون حقيقة غير ذي جدوى، بل وغير ممكن.

باولو كويلو: وتنميطات الاستشراق

عبدالله توتي*

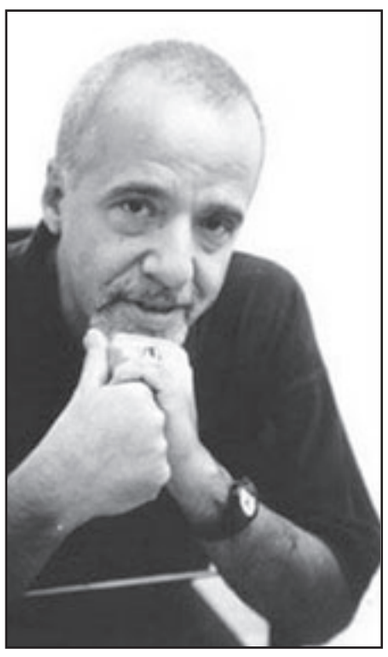

باولو كويلو

يعد باولو كويلو من الكتاب الأكثر قراءة في العالم، وتعد روايته «الخيميائي» أفضل أعماله، ترجمت إلى أكثر من اثنين وستين لغة، وتحكي قصة راعي غنم اسمه سانتياغو يتخلى عن عمله ويسافر بحثا عن حلم.

وتقع أحداث الرواية في كل من اسبانيا والمغرب ثم الصحراء فأهرامات مصر حيث يعود منها البطل إلى بلده الأصلي إسبانيا حيث الكنز في انتظاره.

رواية «الخيميائي»، رواية تطورت أحداثها في مسار دائري من الغرب في اتجاه الشرق، عكس عقارب الساعة، تتطابق والفلسفة الصوفية خاصة عند ابن عربي حيث العالم مبني على دورة كونية كبرى: «ما خلق الذي خلق من الموجودات خلقا خطيا من غير أن يكون فيه ميل إلى الاستدارة أو مستديرا في عالم الأجسام والمعاني». هذه الدائرة كما يقول فريد الزاهي: «تجعل الإنسان بوصفه صورة مطالبا بمعرفة نفسه من حيث هو كذلك، ومن خلال تلك المعرفة يتمكن من معرفة الأصل كمنطلق ومآل. إنه صورة مفكرة تعيش وجودها الخيالي في نمط نشيط فعال لا منفعل فقط. بهذا الشكل تكون دائرية المعرفة تعبيرا عن دائرية الوجود وتأكيدا لها وكشفا لصيرورتها وحركيتها التي من خلالها ينشد الخلق إلى الحق.» هذه الدائرة التي رسمها كويلو تعبيرا منه عن البحث عن الذات أو «أسطورة الشخصية» كما وردت في الرواية، جعلت الكاتب يقع في شرك الاستشراق دون إدراك بخطورة المسألة وتأثيراتها على الفكرة المحورية المبنية على التحرر ومعرفة الذات والآخر خارج أي قيد ثقافي وبعيدا عن الاجترار وتكرار التجارب السابقة. فالوجود يستمد طاقته من الآخر كما يستمدها من الفكر، غير أن هذا ليس بموضوعنا، بل سنحاول رصد صورة هذا الآخر كما صورها كويلو في روايته، ومن خلالها سنعرف إلى أي حد استطاع الكاتب أن يتحرر فكريا، وأن يضع نفسه خارج المكان، لا داخله.

جواب نجزم فيه بالنفي، فباولو كويلو لم يستطع التخلص من تابوهات الفكر والأيديولوجية الغربية، رغم زيارته لأغلب البلدان العربية والإسلامية، فهو لم يستطع التخلص من رواسب الفكرة التي كتب عنها، وأغلب الظن أنه أعاد كتابتها، كما استوحاها من كتب الأسفار والرحلة والتاريخ والأدب والسينما ووسائل الإعلام. وإذا ما بحثنا عن الآخر في رواية «الخيميائي» فإن أول شيء يلفت أنظارنا هو كليشيه الغجر الذي لم يتغير منذ القرن السابع عشر، حتى أن ثرفانتس في أحد رواياته النموذجية الإثنتي عشرة (Las Novelas Ejemplare) انتقد تلك الرؤية إلى الغجر متحديا طابوهات المجتمع مدافعا عن حرية الفرد فكتب روايته الغجرية الصغيرة (La Gitanilla) وبدأها بالمطلع الآتي: «يبدو أن الغجر يولدون فقط لكي يصبحوا لصوصا: ينحدرون من آباء لصوص، ويكبرون مع اللصوص، ويدرسون اللصوصية وفي النهاية يصبحون لصوصا.»

هذه الصورة هي نفسها حاليا، في المجتمع الاسباني، لم يتغير منها شيء، وقد اقتبسها كويلو كما هي وأعاد تركيبها في روايته «الخيميائي» في صورة غجرية، نصابة ذكية تعرف جل أنواع الخداع في الكسب:

«عد إلى حلمك، فلدي قدر على النار. ومن جهة أخرى، أنت لا تملك الكثير من المال، فلا تأخذ وقتي كله» ..«لن أطلب منك أجرا الآن، لكن أريد عشر الكنز إذا ما عثرت عليه» (ص 25 و26) .. «أذكياء هم الغجر! ربما لأنهم كثيرو الترحال».(ص 215).

إن اختيار كويلو للغجرية هنا لم يكن عشوائيا، بل هنالك معرفة مسبقة عن الغجر جعلت الكاتب يقود بطل روايته إلى عجوز غجرية أسندها دور عرافة ومحتالة تماما كصورة الغجر كما هي في كتب الآداب أو السينما... أفلم يكن بمقدور الكاتب أن يجعل سانتياغو يلتقي بالمسن المرشد بدل الذهاب إلى عجوز غجرية؟

بلى، لكن لإضفاء سمة التشويق على النص، كان لا بد للكاتب أن يسلك الطريق نفسه الذي سلكه كل من سبقوه، ليحاول اللعب «بورق العادة» حتى يبتعد عن دائرة الغرابة أو الغرائبي، هذا ليكون عمله كما أراده، وسيلة للإرشاد وتعليم بساطة الحياة، ونصا تقليديا مشوقا ليس فيه من جديد، ولا يغدو أن يكون إبداعا من مفهوم التعدد والاختلاف بقدر ما هو نص يفتقر إلى فكر حر. يقول ادوارد سعيد في الموضوع: «... ثمة إذن جدلية معقدة للتعزيز والامتداد تتحدد بموجبها تجارب القراء، في الواقع، بما كانوا قرؤوه من كتب، ثم يؤثر هذا، بدوره، على المؤلفين دافعا إياهم إلى تناول موضوعات محددة سلفا بتجارب القراء».(سعيد، 1978: 118).

من هنا يتضح لنا أن الكاتب لم يختلق السرقة في كل من المغرب وأهرامات مصر عبثا، بل ثمة معرفة مسبقة حثته على اختلاق الفكرة في تلك الأماكن بالذات، فأصبح المغربي والمصري لصوصا. أو ليست هي الفكرة نفسها التي تروج حولنا؟

يقول السارد عن سانتياغو: «كان الفتى لا يفارق بعينيه صديقه الجديد. هو لا ينسى أن كل ما لديه من مال غدا بين يدي هذا الأخير. فكر مليا في أن يستعيده منه، ولكن كان يقول في داخله، أن ذلك سيجعل منه شخصا عديم اللياقة، خاصة وأنه لا يعرف عادات هذه الأراضي الغريبة والتي يطأ الآن تربتها»(ص55). هذه الفكرة تتناقض وقول السارد مسبقا: «...شعر الفتى بمزيد من الاطمئنان» (ص53)، ففي الجملة السابقة تتضح من خلالها علامات عدم الارتياح، وسانتياغو كما توضح ذلك جملة السارد، كان حدسه ينبئه بوقوع شيء غير مريح، هذا الشيء غير المريح لم يكن نابعا من نفس البطل بل هو صورة عن الفكرة التي كانت تستحوذ على فكر الكاتب، فالكاتب كان لا بد له من حدث غير عادي يؤثر في مجرى الأحداث وبطريقة غير مباشرة في القارئ، وكان كويلو مسبقا يعي جيدا أن هذا الحدث وهذه الفكرة لا بد وأن تكون سرقة. لذلك، وفيما بعد يرثي الكاتب (السارد) بطل قصته قائلا: «مخجل أن يبكي. لم يبك أبدا أمام خرافه. لكن ساحة السوق كانت خالية، وكان هو بعيدا عن وطنه. فبكى. بكى لأن الرب لم يكن عادلا ولأنه يجازي، بهذه الطريقة، الناس الذين يؤمنون بأحلامهم الخاصة.»(ص57).

أما في الفضاء المصري فقد كان الكاتب قد وصل إلى المرحلة الأخيرة من الدورة الوجودية التي بني عليها المسار السردي للقصة، وكان الكاتب بحاجة إلى تغيير مسار السرد من جديد للعودة إلى نقطة البداية، لتكتمل بذلك الدائرة. لكن هذه المرة أضاف مسألة الضرب والتعذيب إلى السرقة، حتى يتيح لنفسه إمكانية فك العقدة، واستعمال المفتاح، الذي هو بمثابة قفل في نفس الآن، لفتح به الحلقة المفرغة من الدائرة وبه انحل اللغز:

«لن تموت، سوف تعيش، وتتعلم أننا لا يجب أن نكون أغبياء إلى هذا الحد. هنا، وفي هذا المكان بالتحديد، حيث أنت، مرت على ذلك الآن سنتان، كنت قد رأيت حلما تكرر... كان قد وجد الكنز».(ص 210 و211).

أما السمات الأخرى للاستشراق في رواية هذا الكاتب البرازيلي، فتتجسد في عدة مقاطع جسد فيها تفوق الإنسان الأوروبي وذكاءه على الإنسان العربي، فنلاحظ ، راعي غنم، يتألق في التجارة، كيف لا وهو الذي رد الاعتبار والحيوية إلى متجر تاجر البلوريات! كما رأى ما تخبئه الأيام من مفاجآت وأنقذ الواحة من بطش الطغاة.

يقول ادوارد سعيد في هذا الصدد: «في الأفلام والتلفاز يرتبط العربي اما بالفسق أو بالغدر والخديعة المتعطشة للدم. ويظهر منحلا، ذا طاقة جنسية مفرطة، قديرا، دون شك، على المكيدة البارعة المراوغة لكنه، جوهريا، سادي، خؤون، منحط، تاجر رقيق، راكب جمال، صراف، وغد متعدد الضلال... وكثيرا ما يرى العربي القائد للصوص المغيرين، والقراصنة، والعصاة من السكان الأصليين وفي أشرطة الأخبار المصورة، يظهر العرب دائما بأعداد ضخمة. لا فردية، لا خصائص أو تجارب شخصية. وتمثل معظم الصور الهيجان والبؤس الجماعيين، أو الإشارات والحركات اللاعقلانية وإشادة حتى اليأس، بالتالي. وخلف هذه الصور جميعا يتربص خطر الجهاد المهدد والعاقبة: الخوف من المسلمين (أو العرب) سوف يحتلون العالم.» (سعيد، 1978: 287).

كل هذه الأمور، إلى جانب الاستشراق الجنسي الذي لم يغب عن الرواية، والذي يمكن استحصاله من خلال اللاشعور، ومن خلال تطبيق منهج التحليل النفسي على النص، لنجد جملا لا تتجاوز أن تكون تعبيرا عن الحب في مفهومه الجنسي، وليس الحب في مفهومه الروحي السامي، ويتضح ذلك في علاقة سانتياغو بفاطمة:

«... وعندما يلتقي ذانك الشخصان، وتتقاطع نظراتهما، كل الماضي وكل المستقبل يغدوان بعد ذلك بدون أدنى أهمية، اللحظة الحاضرة هذه هي وحدها الكائنة، هذا اليقين العجيب بان كل شيء تحت قبة السماء كان قد كتب بنفس اليد. اليد التي تعمل على خلق الحب، والتي أنشأت روحا توأما لكل كائن يعمل»(ص126و127).

«حدثني عن الملك المسن، عن الكنز. وحدثني عن الإشارات. لذا فانا لا أهاب شيئا، لأن تلك الإشارات هي التي قادتك إلي. فانا جزء من حلمك، من أسطورتك الشخصية، كما تقول ذلك مرارا. لهذا السبب ذاته، أريدك أن تواصل طريقك في اتجاه ما جئت تبحث عنه. وإذا كان ينبغي لك انتظار نهاية الحرب، فذاك أمر حسن».(ص131).

في هذين المقطعين يتضح ما أشرنا إليه سابقا، ففاطمة لا تكاد تكون أكثر من نقطة عبور ليس إلا، لحظة يعيشها البطل بكل جوارحه، ثم يمضي مقفلا في اتجاه حلمه، دون أدنى إحساس بالفراق أو الحنين. هكذا الجنس؛ فلا يغدو أن يكون أكثر من لحظة عابرة يعيشها الإنسان، يشبع فيها نزوة عابرة، ثم يمضي خفيفا صافي الذهن.

هذه هي صورة فاطمة، صورة عن المرأة العربية، التي تبدي رضاءها دائما، واكتفاءها «بالمكتوب».. لا ضرر ولا ضرار! العربي دائما راض وغبي وراغب والأوروبي يستفيد!.

على سبيل الختام:

من كل هذا يتضح إذن، أن «الخيميائي» لم يكن أكثر من عمل جمع فيه الكاتب كل الكليشهات المعروفة عن الشرق، ولم تكن لكويلو أدنى معرفة عن الآخر، بل صور الأشياء كما وصفت له؛ حتى وإن زار الشرق فإنه لم يأخذ أدنى فكرة عن الآخر. كيف لا وهو الذي تحدث في روايته عن الأذان والسجود الفوري؛ شيء لا وجود له في الثقافة الإسلامية كما أنه تحدث عن سوق يومي تنصب فيه الخيام، في طنجة المغربية، فما عسى المغربي يقول وهو العارف بأسواق الخيام، تلك الأسواق الأسبوعية لا اليومية!

إننا إذا ما تأملنا في القصة، وجدنا الكنز في الغرب (إسبانيا) لا في الشرق (الرحلة) كما تقول القراءة السائدة، وما الرحلة إلا درس تأكد من خلاله لسانتياغو أن لا شيء في الشرق، سوى الجواري الراغبات الراضيات ، واللصوص والغباء.. ويبقى الغرب دائما المكان اللائق الطاهر والنظيف للجواهر وأنفس ما على الأرض من كنوز.

هوامش:

ـ فريد الزاهي، ابن عربي: الصورة والآخر، من خلال الرابط: http://www.jehat.com/Jehaat/ar/SeeratAlthoua/fareed.htm.

ـ باولو كويلو، «الخيميائي»، ترجمة عبد الحميد الغرباوي، طبعة برينتنار(برشلونة) 2005.

ـ ادوارد سعيد، الاستشراق، ترجمة كمال ابو ديب، مؤسسة الابحاث العربية، الطبعة السادسة 2003 بيروت لبنان.

---

* كاتب ومترجم من المغرب

ثلاث قصائد

سامي مهدي

ظنون

سينتظرونَ غداً، ويقولونَ:
«ها قد تنصّلَ من وعدِه مرّتين!»
وقد يصبرونَ قليلاً،
ولكنَّهم سيملّونَ،
أو ييأسونَ، وينصرفونْ.
وماذا لو انصرفوا؟
فأنا لم أغرّرْ بهمْ،
أو أَعِدْهمْ بشيءٍ كما يزعمونْ.
يُريدونني أن أُحدّثَهم،
فبماذا أحدّثُهم
بعد أن ضاعَ ما ضاعَ وافترسَتْه الظنونْ؟
وهل يعلكونَ أصابعَهم ندماً
إنْ أنا حدّثْتهم،
أم يظلّونَ في جهلِهم يعمَهونْ؟
سدىً،
فالحقيقةُ ماكرةٌ،
همْ يخالونها لفظةً حُصِرَتْ بينَ قوسينِ،
وهي تخادعُهم،
فتبدّلُ وجهاً بوجهٍ، ولا يفهمونْ.
ولستُ كفيلاً بما فَهموا،
أو بما حملوا تحتَ آباطِهمْ،
أو بما سيقولونَ للناسِ إذْ يَسألونْ.

صيف

ها هو الصيفُ
يدبغُنا بالغبارِ وبالعَرَقِ المرِّ،
لكنني أتتبّعُ هذا الطريقَ المسوَّرَ،
هذا الطريقَ الطويلْ.
لا أكادُ أرى منفذاً منه نحوَ المدينةِ
غيرَ الذي حدَّدوه لنا،
وهو يكتظُّ بالناسِ،
والناسُ كلٌّ له سببٌ للتبرّؤِ من ظلّه،
والتحدّثُ في السرِّ عن منفذٍ سُدَّ أمسِ،
وعن بقعةٍ من دمٍ وصبيٍّ قتيلْ.

ها هو الصيفُ :
جرحٌ وملحٌ،
وسجنٌ تعفّنَ في بطنِ
سجنٍ،
ودمعٌ على خدّ ثكلى يسيلْ.

خبز الفقير

لا شيءَ في الأدراجِ
إلاّ ما ظننتمْ أنه : السرُّ الكبيرُ،
وليسَ من سرٍّ هناكَ سوى أمانينا
وقد طارَ الغرابُ بها،
وطارتْ ألسنُ الخطباءِ في أعقابِهِ
ورقاً تذرّيهِ الرياحُ
وتسقطُ الكلماتُ كالحشراتِ منه،
فليسَ للأحلامِ مرسىً في وسائدِهمْ،
وأنتمْ مثلُهمْ لا تحلمونَ،
وتكرهونَ الحالمينَ،
وتحسبونَ الحلمَ لغماً قاتلاً . .
(ورمٌ خبيثٌ في دماغِ الكونِ !)
قائلكم يقول. .
ونحنُ لا نحيا بلا حلُمٍ،
وتلك ظلالُنا في الأرضِ تبحثُ عن هياكلِنا
لتكسوَها رداءَ منه،
عفواً، سادتي،
سنكونُ أوّلَ مَنْ يقولُ لكمْ : سلاماً
حينَ تكتشفونَ معنى الحلمِ في خبزِ الفقيرِ،
وتحلمونَ،
وتضحكونْ.

جديد الشاعر والروائي إبراهيم نصرالله:

ديوان «لو أنني كنت مايسترو» مع قصائد بصوته

عمان ـ «القدس العربي»:

صدرت مجموعة شعرية جديدة للشاعر والروائي إبراهيم نصر الله بعنوان (لو أنني كنت مايسترو) عن الدار العربية للعلوم- ناشرون - بيروت، ودار الاختلاف ـ الجزائر، ودار مكتبة كل شيء في فلسطين، يرافقها (سي دي) مدته 65 دقيقة، يضم 18 قصيدة بصوت الشاعر أخرجها وألف الموسيقى المصاحبة لها الفنان عبد الحليم أبو حلتم.

وتتشكل هذه المجموعة، التي تعد إضافة بارزة لمسيرة الشاعر، من تسعين قصيدة جاءت في 256 صفحة، وتضم ثلاثة أجزاء هي: (مسائل عالقة) والتي تشكل الجزء الأكبر من الديوان، إضافة لمجموعة قصائد بعنوان (عتبات تحاول الدخول) ومجموعة ثالثة بعنوان (مواويل). ويختتم الشاعر مجموعته بثلاث قصائد طويلة، هي (القديس)، التي أهداها للراحل إحسان عباس، و (الحكيم) التي أهداها لجورج حبش، و(الشاعر) التي أهداها للشاعر العربي طرفة بن العبد.

يبدأ نصرالله ديوانه بقصيدة (لو أنني كنت مايسترو) التي يقول فيها:

لو أنني كنت مايسترو
لكانت حياتي أفضل
وكان الفضاء هنا فوق رأسي فسيحا
ومعنى الخليقة أجمل

ويواصل الشاعر في هذا العمل الشعري، رسم ملامح تجربته الشعرية الممتدة على ثلاثين عاما، جامعا عوالم التأمل بعوالم الحب والعشق والزمن وتلك الأمور التي سكنت القلب البشري منذ البدايات ولم تجد لها حلا، سواء على المستوى الشخصي أو المستوى الإنساني. كما تحضر في المجموعة قصائد السخرية الهادئة.

يتأمل نصر الله في حياته وحياة الناس، في الأشياء الصغيرة والبسيطة، مثلما هو الحال مع القضايا الكبرى التي لا تغيب عن قصيدته، ويحاول أن يظهر الوجه الجميل للحياة، بقدر ما يبرز وجوه القبح والقسوة، ملتقطا المتناقضات والمتضادات بعين شاعر عرف الحياة من جوانبها، ويرى أن الجمال يمكن أن يكون في كل شيء من حولنا، وكذلك أن الحياة تكمن في الأشياء البسيطة، ففي عنوان قناعات يقول:

أنام وأصحو، إذن ذاك يكفي
أسير إلى آخر الحيّ ثم أعودُ
إذن ذاك يكفي
أحادثُ سيدة في الطريق إلى السوق.. يكفي
وأبتاع ربطة فجل بلا سبب واضحٍ
ذاك يكفي
أرى مشهدا ناعما في نهاية فيلم عن الحب.. يكفي.

قضية الحياة والموت، وأحيانا الولادة والموت، وأسئلة الحياة والوجود، تشغل الكثير من تأملات صاحب دواوين: مرايا الملائكة، وحطب أخضر، وحجرة الناي، وسواها من الأعمال الشعرية، وروايات : زمن الخيول البيضاء، و طيور الحذر، وبراري الحمى، وغيرها من الأعمال التي تشكل علامات بارزة في الحياة الثقافية العربية، وإلى ذلك فهو مهجوس بالحياة ويستحضرها دائما في أشكال كثيرة، وعبر أسئلة عديدة، حتى أنه يقول (لا أصدق من سيموت/ أصدق من سوف يولد).

من قصائد الديوان:

ملاحظات

لا أُصدِّقُ من سيموتُ
أُصدِّقُ من سوف يولَدُ
كل ما قيلَ من قبلُ
ليس سوى هوة في الكلام
ونافذةٍ لا تَرى أيَّ شيءٍ ونَجمٍ مقيّدْ

لا أصدّق سيدةً تتحدّثُ عن عاشقيها
أصدّقُ من تنزوي في المساء
كأغنيةٍ تعبتْ من صدى خَطْوها في
ممرِّ الجمالِ.